دراسات معاصرة
Contemporary Studies
مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
ASJP Algerian Scientific Journal Platform
المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان(2023)، ص.121/129

التأصيل لمقولات الحداثة في التراث النقدي العربي–البنيوية عند عبد القاهر الجرجاني أنموذجا

Rooting the categories of modernity in the Arab critical heritage (Structuralism according to Abd al-Qaher al-Jurjani as a model

آمال بخوش*
amal.bekhouche@univ-biskra.dz
مخبر وحدة البحث والتكوين في نظريات القراءة ومناهجها
جامعة محمد خيضر بسكرة
(الجزائر)

سامية آجقو
s.ajgou@univ-biskra.dz
جامعة محمد خيضر بسكرة
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 05/ 2022/11 تاريخ القبول: 2023/04/14 تاريخ النشر:02/ 2023/06

ملخص:

تهدف هذه الدراسة المعنونة ب:" **التأصيل لمقولات الحداثة في التراث النقدي العربي – البنيوية عند عبد القاهر الجرجاني أنموذجا**" إلى إعادة قراءة التراث العربي الذي لا يزال مجالا خصبا للدراسة والبحث، وقد عكف الدارسون والباحثون على دراسته محللين إياه كاشفين أسراره وخباياه واكتشاف طاقاته المختزنة فيه وإزالة طبقات الغبار الكثيفة التي ظلت تحجب بعض الصفحات الفكرية والتراثية، والتأصيل لمختلف النظريات النقدية الحداثية المبثوثة في ثنايا كتبه.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي أن التراث جزء من تاريخنا ومقوم أساسي من مقومات الهوية، كما أنه من أبرز القضايا الأساسية التي شغلت الفكر العربي المعاصر باعتباره الزاد الفكري والمعرفي الذي تركه العرب القدامى في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية وأن جميع النظريات النقدية الحداثية لها أصول معرفية كونتها لابد من العودة إليها.

و أن البنيوية كنظرية نقدية حداثية لها إرهاصات في التراث النقدي العربي وبالتحديد عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه" دلائل الإعجاز" و الذي استطاع اكتشاف أهم مقومات البنيوية مثل الكلية والجزئية والنسق و النظام والعلاقات والدال والمدلول .وكل هذه المصطلحات لم تبتعد عن ما هومستعمل في الدرس البنيوي الحديث.

كلمات مفتاحيه: التراث ،عبد القاهر الجرجاني، البنيوية ، الدراسات الحديثة ، العلاقات.

Abstract:

This study, entitled: "The Rooting of the Statements of Modernity in the Arab Critical Heritage - Structuralism for Abdul Qaher Al-Jurjani as a Model" aims to re-read the Arab heritage, which is still a fertile field For study and research,scholars and researchers have been studying it, analyzing it, revealing its secrets and mysteries, discovering its stored energies, removing the thick layers of dust that kept obscuring some intellectual and heritage pages, and rooting for various modern critical theories disseminated in his books. One of the most important findings of the study is that heritage is part of our history and an essential component of identity. It is also one of the most important fundamental issues that occupied contemporary Arab thought as the intellectual and cognitive

*المؤلفالمرسل.

provision left by the ancient Arabs in various fields of human knowledge and that all theories Modern criticism has epistemological origins that must be returned to.

And that structuralism as a modern critical theory has its premises in the Arab critical heritage, specifically with Abdul Qaher Al-Jarjani in his book "Dala'il Al-Mijaaz" who was able to discover the most important components of structuralism such as the totality and the partial... And all of these terms did not depart from what is used in the modern structural lesson.

Keywords: *Héritage, Abdul Qaher Al-Jurjani, structuralism, modern studies, relations.*

مقدمة:

النقد العربي القديم هو نقد أصيل ومتشعب بما يحمله من ثراء وتنوع وقد مر بمراحل تطورية ممارسة وفكرا كما أنه زاخر بالمؤلفات النقدية التي تحمل بين ثناياها مفاهيم ونظريات نقدية أسست لفكر حداثي منها:" البيان والتبيين للجاحظ، "طبقات فحول الشعراء" لإبن سلام الجمحي، "الشعر والشعراء" لإبن قتيبة و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجانيومن هنا اعتمدت دراستنا المنهج التاريخي بهدف إعادة قراءة التراث النقدي العربي والتأصيل لمختلف النظريات والمقولات النقدية الحداثية التي جاءت في ثنايا كتبه وبالتحديد الرؤية البنيوية عند عبد القاهر الجرجاني(ت471) و في خضم هذا الحديث يتبادر إلى أذهاننا طرح التساؤلات التالية: هل كان في التراث النقدي العربي مفاهيم ونظريات أسست لفكر حداثي؟ وإذا كانت البنيوية كنظرية نقدية حداثية تأسست معالمها الأولى على يد عبد القاهر الجرجاني(ت171)، فما هي المبادئ التي شكلت الرؤية البنيوية عنده؟

1. المقولات الحداثية والتراث النقدي العربي :

الحداثة من المصطلحات النقدية التي نالت مساحة واسعة في خطابات النقد العربي القديم والمعاصر و مصطلح الحداثة من الصعوبة تحديد ملامحه أو تعريفه تعريفا جامعا مانعا ، وبالتالي تختلف دلالتها باختلاف المجال الذي توضع فيه وبحسب التوجه الفكري الذي ينتمي إليه الأديب .

ومن بين مفاهيم الحداثة:"أنها ابتكار وخلق وهي ضد القديم لكنها لا تناقضه بل تستمد منه أصالتها، ولدراسة الحداثة لابد من العودة إلى الأصول القيمية للتراث"[1]لأنرصد ظواهر الحداثة يتطلب الفهم الصحيح للتراث النقدي باعتباره المصدر الأساسي الذي يحتذى به ، فهو تراث الأوائل وفخرهم وبالرجوع إليه تنتظم المعارف وتفهم بدقة وتعرف خلفياتها وأصولها المعرفية الأولى وبالتالي الحداثة تزيل الحواجز بين الماضي والحاضر لتبني الجديد الذي يواكب العصر ورغم أن المصطلح غربي معاصر لكننا نجد له بذور في التراث النقدي العربي خاصة مع عصر التدوين القرن الثاني الهجري كما ارتبطت بقضية القديم والمحدث في العصر العباسي.

إزدهرسؤال التراث في ظل تيار الحداثة، هذا دفع النقاد العرب إلى إعادة مساءلة الموروث النقدي من أجل تحصين هوية ثقافية تهددها مخاطر الزوال بفعل غزو ثقافي جارف،وسعيا لابتعاث عناصر القوة والتميز والسبق بالحفر في أعماقه.[2]لأنهم يرون في التراث سلاحهم الذي يحميهم ضد الغرب الذي يسعى بكل الوسائل لطمس هويته وفرض سياسته عليهم وبالتالي وجدوا بأنه من الضروري العودة إلى تراث الأوائل فهو فخرهم وعزتهم وهويتهم التي تضمن لهم البقاء وتمنح لهم القوة .

ومن هنا كانت القراءة الحداثية للموروث النقدي والبلاغي تقف عند مفاهيم بعينها وصولا إلى بذورها الأولى، ولابد أن تكون هذه القراءة إيجابية منتجة لا تكتفي برصد مقولات الحداثة بل تعيد صياغة القديم في لغة جديدة[3] وبالتالي القراءة الحداثية تبحث في القديم لتبني تصورات جديدة تلائم روح العصر وبالتالي لا تكتفي بالتأصيل فقط بل أيضا بالتحديث.يقول عبد المالك مرتاض:" الفكر النقدي العربي القديم حافل بالنظريات والإجراءات التطبيقية من العقوق أن نضرب صفحا عن الكشف عما قد يكون فيه من أصول لنظريات نقدية غربية تبدو لنافي ثوب مبهرج بالحداثة فننبهر أمامها وهي في حقيقتها لا تعدم أصولها في تراثنا النقدي مع اختلاف في

المصطلح والمنهج."[4] وبالتالي أسبقية التراث النقدي العربي إلى الاشتغال على مفاهيم ونظريات حداثية وأن المصدر العربي الأصيل هو المرجعية الأساس لنظريات الحداثة.

والإصرار على أن ما تناوله التراث النقدي من القضايا والمفاهيم و النظريات النقدية يتطابق إن لم يكن يفوق ما تناوله النقد العربي الحديث ليس كفيلا بتثمين التراث وإنما الكشف عن خصوبته وثرائه وأنه إليه تعود الريادة في تأسيس المعالم الأولى للنظريات النقدية وأن ما تطرق إليه الدرس النقدي الحديث مجرد إضافات وأننا بحاجة إلى سحب الماضي إلى الحاضر،فالتراث لا يسترجع ولكنه يستفتح :أي البحث فيه بأسئلة عميقة وامتلاك النظرة العلمية التي تمكن من فهمه ثم تفسيره وتأويله[5]. وبالتالي يجب توطيد العلاقة مع التراث فهو المرجعية الأساس للنظريات النقدية الحداثية و لابد من استرجاعه من حين إلى حين لبناء فهم جديد له.وهذا يتطلب امتلاك وعي نظري ومنهجي من خلال رؤية ابستيمولوجية موضوعية تسعى لإعادة قراءة التراث في سياقه التاريخي والحضاري وتوظيف واستثمار المعارف النظرية لإضاءة زواياه وكشف خباياه.[6] والوعي نقصد به الفهم الصحيح والدقيق لمسائل للتراث من أجل استكناه ما فيه من مضامين ورؤى تمنح له البقاء والاستمرار.

ولقد اتسم النقد في القرن الثالث هجري بالتجديد في رؤاه التقويمية والتي انجر عنها استحداث عدة جديدة من المصطلحات النقدية والمفاهيم النظرية نجدها مبثوثة في ثنايا كتب النقد العربي القديم :"الشعر والشعراء لابن قتيبة"، "طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي"، "البيان والتبيين "للجاحظ "وأسرار البلاغة "و"دلائل الإعجاز "لعبد القاهر الجرجاني وكل هذه الكتب بها أصداء لمفاهيم نقدية حداثية[7].

و بلغة الحداثة نجد أن مدونة "طبقات فحول الشعراء "لابن سلام الجمحي، تحمل إرهاصات المنهج التاريخي الذي يعد من أبرز المناهج النقدية التي عرفها العصر الحديث يركز على العلاقة بين العمل الأدبي والزمن والبيئة التي نشأ فيها.

فأصول المنهج عند ابن سلام الجمحي تنبع من تقسيمه للشعراء إلى طائفتان: جاهليون وإسلاميون ويحتكم هذا إلى عنصر الزمن ،أما المكان يظهر في حصره لشعراء القرى الذين لم ينفتحوا على سواها مثل: مكة والطائف والمدينة والبحرين ،إضافة إلى قرى هجرت وانفتحت على غيرها[8]. وبالتالي اتكاءه على عنصري الزمن والبيئة. وهذا الترتيب الذي نجده في "كتاب طبقات فحول الشعراء "مرده إلى البحث والخبرة التي يمتلكها الناقد ابن سلام وإلى ذوقه الفني المتميز.

والجاحظ برزت عنده العديد من المفاهيم الحداثية في كتابيه البيان والتبيين والبخلاء اللذين أسالا الكثير من الحبر في العديد من العلوم منها: التداولية والأسلوبية ولسانيات النص والتلقي ونظرية التوصيل التي عالجها في كتاب "البيان والتبيين" من خلال حديثه عن البلاغة وموافقة الكلام لمقتضى المتخاطبين[9]. وهذا يدل على ثراء التراث العربي وتعرضه لأغلب نظريات الدرس النقدي الحديث فقط الاختلاف كان في المصطلح والمنهج.

"وأما وسم ابن قتيبة لكتابه "الشعر والشعراء" بهذا الاسم فينبئ عن تتبع مقصود للشعر والشعراء وتبيان تطورهم بالوقوف على دقائق مسيرتهم الإبداعية"[10]وبالتالي يهتم بأحوال الشعراء وأزمانهم وقبائلهم وكل هذا يصب في المنهج التاريخي.كما أشار إبن قتيبة إلى المنهج النفسي في حديثه عن الطبع والإستعداد واختلافه من شاعر لآخر يقول:" والشعراء في الطبع مختلفون منهم من يسهل عليه المديح ويتعذر عليه الهجاء ومنهم من تسهل عليه المراثي ويتعذر عليه الغزل.."[11] وبالتالي التأكيد على دور العامل النفسي في العملية الإبداعية.وفي الشعر والشعراء أصداء لقضية التلقي إذ يقربعض النقادبالتقاء النظرة النقدية لدى ابن قتيبة مع الناقد الغربي(هانز روبرت ياوس) في الكلام عن الحداثة، فكلاهما يخرج بمفهوم الحداثة عن مألوف عصره حين يذهب ابن قتيبة إلى أن لكل عصر حداثته وأنه لابد من إستدعاء معطيات النص واحترام ذاتيته كنص بغض النظر عن قائله، أما ياوس فإنه يطالب متلقي النص باستدعاء خبراته الماضية للإفادة منهافي قراءة النص الحاضر بشكل جديد فظواهر الحداثة لها طابع مطلق لا يمكن أن نربطه بمكان أوزمان معين.[12]وكل هذه الظواهر توضح ارهاصات الحداثة في النقد العربي القديم عند ثلة من النقاد العرب المنهجيين.

وما يهمنا في هذا المقام هو عبد القاهر الجرجاني أبرز علماء عصره وأشدهم حرصا ورغبة في إثراء التراثالعربي بآرائه وأفكاره ومن المقولات الحداثية التي تناولها عبد القاهر الجرجاني :مصطلح البنيوية.

2. الرؤية البنيوية عند عبد القاهر الجرجاني:

1.2عبد القاهر الجرجاني: عالم لغويوبلاغي عظيم و أبرز علماء زمنه وأشدهم حرصا على إثراء المخزون التراثي العربي."وهو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(400-471) ولد بجرجان لأسرة رقيقة الحال، نشأ ولوعا بالعلم ،محبا للثقافة الأدبية والإسلامية، فأقبل على كتب النحو دراسة وقراءة واهتم بمطالعة الأدب العربي، تتلمذ على أبناء الحاضنة العربية ودليل ذلك نقله عن سيبويه والجاحظ وأبي علي الفارسي وابن قتيبة والجاحظ ،وأمسى عبد القاهرالجرجاني مدرسة أضافت إلى حاضنة اللغة العربية كما هائلا من المعارف"[13]. من خلال كتبه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والرسالة الشافية والمقتصد في شرح التكملة والمفتاح في الصرف والعمد في التصريف وهذا التعدد في المصنفات دليل على معرفته الواسعة بعلوم البلاغة والنحو والصرف، كما أن لعبد القاهر الجرجاني منزلة كبيرة لدى النقاد والبلاغيين المحدثين.

2.2البنيوية:إن البنيويةمن النظريات النقدية الحداثية التي تأثرت بالدراسات اللغوية التي قادها السويسري فرديناند دي سوسير في بداية القرن العشرين حين انطلق في دراسته للغة من مجموعة ثنائيات: اللغة والفكر والدال والمدلول والآنية والتزامنية... وكل هذا يتقاطع مع ما جاء به الدرس اللغوي العربي القديموبالتحديد عند عالم من أعلام التراث العربي الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت471)والذي يعد أول من اهتدى إلى النظرية البنيوية تحت مسمى نظرية النظم.

البنية:" تعني في الاصطلاح اللغوي بناء متكامل ومترابط الأجزاءأو ترتيب أجزاءمختلفة في شيءواحد"[14]أي: الطريقة التي يقوم عليها بناء ما و الأساس و القاعدة التي تحكمه لكي لا ينهار. وفي مجال اللسانيات ارتبط مفهوم البنية بمفهوم النسق وقد كان لكلمتي النسق والنظام حضور عند عبد القاهرالجرجاني في كتابه" أسرار البلاغة في علم البيان"وأن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق وأبطلت نظامه الذي عليه بني وغيرت ترتيبه نحو أن تقول في:

قِفَا نَبْكْ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

منزل قفا ذكرى من نبك حبيب : أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان.

فاللفظة في رأي الجرجاني علامة تدل على شيء أو فكرة ولكنها لا تحدث معنى مفيدا إلا داخل الجملة[15]. وبالتالي بنية الكلمات عند عبد القاهر الجرجاني لابد أن تكون مرتبة ومترابطة لتؤدي المعنى.

وهناك جانب آخر يتمثل في المحور الأفقي التتابعي والمحور الاستبدالي يقول في كتابه دلائل الإعجاز:"وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها، وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما وبالقلق عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها"[16].وهنا تأكيد على حسن الإختياروالتركيب بين المفردات وملائمةمعانيها بعضها لبعض.

هذه الأفكار موجودة في الطرح البنيوي عند الجرجاني فهو يولي أهمية لعلاقة اللفظة بما قبلها وما بعدها في شكل محورتتابعي يتشكل من قواعد النحو، ومحور آخر استبدالي يقره الجرجاني من خلال قدرة الشاعر على تلمس جمال لفظة دون سواها مع اشتراكهما في المعنى ذاته[17]. وبالتالي تقاطع أفكار عبد القاهر الجرجاني مع ما جاءت به البنيوية الغربية يؤكد لنا أصالة النظرية في التراث اللغوي العربي.

والبنيوية: هي مجموعة من الآليات المتبعة لدراسة ظاهرة معينة، فهي كما يذهب جون ستروك منهج بحث[18]. لاستكناه جوهر الأعمال النقدية واستيعاب تفصيلاتها.وتقوم البنيوية على اعتبار اللغة نظاما ونسقا، نظاما: يتمثل في البناء العام في التركيب اللغوي، نسقا: يتمثل في السياق الذي وضعت فيه اللغة[19]. وهذه أهم المبادئ التي تنادي بها البنيوية الغربية.واللغة في رأي دي سوسير("De Saussure) هي نسق عضوي منظم من العلامات والتي يقصد بها: الكل المتآلف من الدال والمدلول"[20]والدال نعني به الصورة السمعية والمدلول هو الصورة

الذهنية.والعلاقة بين الصورة الصوتية والتمثل الذهني متينة يستحيل الفصل بينهما فهما نسيج واحد ملتحمان التحاما شديداويرى أن وظيفة اللغة هي التبليغ والاتصال وكل هذه الأمور لم يغفلها عبد القاهر الجرجاني والذي يعتبر اللغة أداة للتواصل تتكون من عنصري الخبر والمخبر به.[21] وبالتالي الدال والمدلول وجهان لعملة واحدة من الصعب الفصل بينهما.

ووظيفة اللغة عند عبد القاهر الجرجاني هي التبليغ حيث يقول:"واعلم أن معاني الكلم كلها معان لا تتصورالافيما بين شيئين، والأصل الأول هو الخبر وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في المجتمع ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه[22]". أي عنصري المخبر والمخبر به مكملين لبعضهماوهو ما يقصده عبد القاهر الجرجاني بالمقاصد والأغراض.ويؤكد أيضا على حسن توظيف المفردات" لأن يتأتى لذلك إذا نظمت وألفت رسالة أن تحسن التخير وأن تعرف لكل من ذلك موضعا"[23]. وبالتالي الكلام هو حسن التخير والقدرة على تعليق بعضه ببعض وهذا أساس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

و الكشف البنيوي يعود إلى فرديناند سوسير حسب معظم الباحثين لأنالمبادئ التي وضعها ارتبطت باللغة من حيث تفسيرها مثل: الدال والمدلول، الإعتباطية، النظام، اللغة والكلام...وأول من أشار إلى هذه المبادئ هو عبد القاهر الجرجاني(ت471) والتي تشكل الإرهاصات الأولى للنظرية البنيوية ولم يستعمل عبد القاهر الجرجاني مصطلح بنيوية بل وظف مصطلح النظم.والنظم" هو التأليف وأصله جمع الخرز بعضه ببعض إلى سلك واحد ويدعى النظام وكل شيء قرنته بآخر وضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته ومنه نظم الشعر وتنظيمه"[24]. أي النظم يحمل معاني الجمع والنظام والضم وكلها تدل على الكلام المترابط والمتناسق .

فالمزية في حسن التأليف والتركيب لبلوغ مراتب الحسن والجمال الذي تطرب له النفس وأمثلة ذلك :ما أورده الجرجاني من أبيات للبحتري في المدح، إذ أن مواطن الإبداع تكمن في حسن توظيف التقديم والتأخير واعتماد العطف وتكرار بعض الأحرف، مما قد يزيد المعنى لطفا واستحسانا في الأنفس يقول البحتري:

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا الْفَتْحَ ضَرِيبًا
هُوَ الْمَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الْحَادِثَاتُ تَعَرُّفًا وَشِيكًا وَرَأْيًا صَلِيبًا
تَنَقَّلَ فِي خَلْقَيْ سُؤْدَدٍ سَمَاحًا مُرَجًّى وَبَاسًا مَهِيبًا
فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَثِيبًا

فإذا وجدت لها اهتزازا في نفسك فانظر في السبب واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأخر، وعرف ونكر، وحذف ونكر، وحذف وأضمر وأعاد وكرر وتوخي الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحوثم إن أخرج واحد من الشرطين لا ترى حسنا تنسبه إلى النظم [25]نظر عبد القاهر الجرجاني إلى النظم نظرة مختلفة عن سابقيه، إذ لم يعتبره مجرد كلمة وألفاظ ،إنما النظم الذي تحدث عنه هو ترابط الكلمات ببعضها وجعل علاقات بينها وركز على توخي معاني النحو وبالتالي فهم النص وتذوقه.

3.2 **مبادئ البنيوية:**البنيوية لها مبادئ عديدة نادت بها منها النظام والعلائقية والدال والمدلول والكلية والجزئية والتاريخية والآنية واللغة والفكر... وهي أفكار تتقاطع مع مبادئ نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

أ- النظام والعلائقية:العلائقيةجاءت من العلاقة وقد تناول دي سوسير علاقة الانتظام بين العناصر اللغوية وبأن الكلمة لا قيمة لها إلا بتجاورها مع الكلمات التي تليها وحتى عبد القاهر الجرجاني يرفض أن يكون هناك نظم في الحروف وإنما مدار الأمر على الكلمات بما تخلفه من تناسق في دلالاتها ،وتلاق في معانيها على الصورة التي يستلزمها العقل فنجده يقف عند بيت:

ابن المعتز: وَأْنِي عَلَى إِشْفَاقِ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى لِتَجْمَحَ مِني نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرِقُ

فترى أن هذه الطلاوة إنما لأن جعل النظر يجمح، وليس هو لذلك بل لأن قال في أول البيت:(وإني) حتى دخل اللام في قوله (لتجمح) ثم قوله(مني) ثم لأن قال (نظرة)ولم يقل النظر ثم لمكان في قوله(أطرق) أي:أن النظم مداره حسن التركيب من أجل بلوغ المعنى ،وبلوغ مراتب الحسن والجمال الذي تطرب له النفس.[26]

والنظم يقبض على خاصية من خواص البنيوية وهي العلاقة يقول:"لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق الكلم بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض"[27] أي :الكلمة المفردة لا تكسب قيمة إلا من خلال ربطها بغيرها.

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني على دور العلاقة فموضع الكلمة في الترتيب هو من يحدد قيمتها. يقول:"وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع"[28]أي :أن المفردات تكتسب قيمة إذا دخلت في تركيب ورتبت في نظام خاص وهو بذلك لا يحكم على اللفظة وهي مستقلة بل ينتظرها لحين دخولها في سياق لغوي ما.ويركز النظم على طرائق تركيب الألفاظ وهو ما يسميه عبد القاهر بعلم النحو، وهو مصطلح يقترب من علم التراكيب من جهة ومن علم الدلالة من جهة يقول:" واعلم أنْ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو".[29]فالنظم ينبني على معالم النحو والأغراض التي يوضع لها الكلام وبحسب موقع بعضها من بعض.

ب- **الدال والمدلول:** من بين الأفكار الأساسية في المنهج البنيوي ونعني بالدال الصورة الصوتية والمدلول هو الصورة الذهنية وباتحادهما تقوم الإشارة اللغوية[30].ولقد اعتبر دوسوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول إعتباطية وببساطة أكثر لأن العلامة الألسنية إعتباطية فكلمة طاولة كان من الممكن أن تطلق على أي شيء آخر غير ذلك الشكل المستطيل أو المستدير الذي له أربعة أرجل[31].والعلاقة بين الدال والمدلول إعتباطية لأن المعنى الواحد لا يمكن أن نعبر عنه بألفاظ مختلفة.وهنا نجد عبد القاهر الجرجانييفرق بصورة دقيقة وعلمية بين الدال والمدلول وهو تعريف لم تتجاوزه لسانيات العصر الحديث، فالألفاظ عبارة عن دوال فارغة يملأها المعنى فتكون صورة خاصة أطلق عليها المحدثون العلامة، وهذا ما نجده عند عبد القاهرالجرجاني عندما فرق بين التصورات التي تحدثها إيقاعات الأشياء والأفكار الخارجية في النفس والألفاظ التي هي دوال فارغة تتبع تلك التصورات[32].وبالتالي تتأسس العلامة عند دي سوسير من ثنائية الفكر والصورة الصوتية وعندعبد القاهر الجرجاني تتكون من التصور واللفظ.

ج- **الكلية والجزئية:**من خصائص البنيوية الكلية والشمولية أي أنها بناء متكامل ليتحقق الاتساق والانسجام بين الوحدات اللغوية وبالتالي الكلمة تكون لها قيمة حينما توضع في سياق معين وتكون علاقة متماسكة بين العناصر اللغوية.

والجرجاني يركز على فكرة التركيب فإذا قلنا في لفظة اشتعل من قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا)[33]أي:أن الجملة لا تأخذ قيمة إلا داخل الجملة ،وبناء لفظة على لفظة.

الآية في أعلى الفصاحة:لأنها موصولة (بالرأس)معرف بالألف واللام ومقرونا إليها (الشيب) منكرا منصوبا وبالتالي بلاغة الآية لم تأت من الألفاظ وهي منفردة ،بل لكونها موصولة ببعضها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها وما يتقدمها ، وهذا يكسب للسياق التركيبي رونقا وجمالا[34]. ويركز مبدأ الكلية على علاقة الكلبالجزء والعنصر لا معنى له إلا بعقده العلاقات ونجد عبد القاهر الجرجاني يقول: " أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا"[35]. فعبد القاهر الجرجاني تفطن إلى فكرة التضام والتركيب وما ينشأ عنها من علاقات يحكمها نظام خاص.

د- **التاريخية والآنية:** أو التزامن والتعاقب وهي الثنائية التي شهدت اتساعا كبيرا بين ثنائيات دي سوسير والتزامن تقوم فيه العلاقات بين الأشياء على أساس ثابت أما التعاقب تكون فيه العلاقات بين الأشياء على أساس تغير زمني أو تاريخي.

واللغة قبل دي سوسير كانت تدرس حسب تطورها، بمعنى أن العلماء قديما كانوا يحرصون على وصف تطور اللغات ولكن دي سوسير اقترح أن تدرس اللغة على أساس ثابت ليس للزمن فيه أي مدخل[36].

ويعتبر التحليل البنيوي هو التحليل الأساسيلأنه تحليل نسقي وبه تتمكن من معرفة الشيء، فهو يتعلق بالمستوى المفاهيمي،في حين أن التاريخي لا يدرس إلا التغيير والظاهر من الأشياء[37].كما اعتمده عبد القاهر الجرجاني في دراسته لمبادئ النظم فقد كان يدرس أمورا تتعلق باللغة في زمنها[38]

هـ- اللغة والفكر:

اعتبر كثير من الباحثين أن اللغة تولد الفكر وأنه لا يوجد تفكير خارج دائرة اللغة، وانطلقت المفاهيم الأولية حول هذه القضية من العلاقة بين الدال والمدلول، وقد تناول عبد القاهر هذه الفكرة، فهو يستعمل اللفظ في مقابل الدال والمعنى في مقابل المدلول وأحيانا يستعمل اللفظ للدلالة على العلامة والعلاقة بين الدال والمدلول في نظرية عبد القاهر هي علاقة متينة فمعرفة الألفاظ هي معرفة بالمعاني والدوال تتبع المدلولات، فالبعد الفكري هو الأساس الذي تأتي الألفاظ لتفصح عنه [39].والعلم بمواقع المعاني في رأي عبد القاهرهو علم بمواقع الألفاظ الدالة عليه[40].يقول:" إنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا، من غير أن تعرف معناه"[41] أي أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها.ويعد عبد القاهر الجرجاني سابقا لشومسكي(Chomsky) في الحديث عن علاقة اللغة بالفكرويرى تشومسكي أن تركيب الجمل يكون في العقل الذي يهندس بناءها[42]يقول:" ونرى هنا دليلا أن الأثر موجود بالفعل في التمثيل العقلي للجملة، ولو أنه ليس منطوقا ،فهو يرى بالعقل، حيث يحوسب العقل بنية الجملة"[43]هذه هي المبادئ الحوسبة عند شومسكي أما عند عبد القاهر فالجملة السطحية تخضع للنظم الذي هو توالي الكلماتوانسجام المعاني كما يقتضيها العقل."ويجمع العديد من الدارسين على وجود البعد الحداثي في الفكر البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني فهي ترتبط بشكل كبير مع النظرية اللسانية للعالم السويسري دي سوسير، فالعقل العربي عكف على تطوير نظرية لغوية ،لا تختلف من حيث المكونات عن مفردات علم اللغويات الحديث ، الذي أسسه دي سوسير."[44]وهذا دليل علاأن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني هي صورة مبكرة لما قدمه دي سوسير عن البنيويةوبالتالي سبق التراث اللغوي والبلاغي العربي القديم لتناول معظم مقولات الدرس النقدي الحداثي وبالتالي التراث النقدي والبلاغي عبارة عن ثروة فكرية ومحمول ثقافي ضخم على النقاد والأدباء العودة إليه والاستفادة من كل معطياته والحفاظ عليه فهو رمز الهوية والأصالة.

خاتمة:

انبثقت بواكير الحداثة النقديةعلى يد بعض نقادنا القدامى ممن كان لهم فضل السبق في التأسيس لبعض المفاهيم والنظريات الحداثية التي نجدها مبثوثة في ثنايا كتبهم و عبد القاهر الجرجاني من بين النقاد العرب الذي أشاروا إلى مقومات البنيوية تحت مسمى النظم.

ومن بين النتائج التي توصلت لها الدراسة:

-النظريات النقدية الحديثة مبثوثة في ثنايا كتب النقد العربي القديم، خاصة في كتاب" طبقات فحول الشعراء" لابن سلام(المنهج الاجتماعي والتاريخي) ، "البيان والتبيين" للجاحظ(التلقي ، الأسلوبية، لسانيات النص)، "الشعر والشعراء" لابن قتيبة(المنهج النفسي ، التلقي، البنيوية) "ودلائل الإعجاز "لعبد القاهر الجرجاني(البنيوية، الأسلوبية...).

-البنيوية نظرية نقدية حداثية لها إرهاصات في التراث العربي ،ويعد عبد القاهر الجرجاني أول من أشار إلى مبادئها منها: الدال والمدلول واللغة والفكر والكلية والجزئية والعلائقية والنظام...

-وظف عبد القاهر الجرجاني مصطلح النظم بدل البنيوي.

-تثبيت الظواهرالحداثية في ساحة الموروث النقدي العربيلهو سلاح ذو حدين وفيه ربط الماضي بالحاضر.

الاقتراحات:

-ربط التراث العربي بالدرس النقدي الحديث ضرورة حتمية تاريخية تؤكد على أنه لا يمكن التخلي عن الجذور الأولىوالانطلاق من جديد لأن التراث هو الأصل وهو المرجع الذي يحتذى به.

-رصد ظواهر الحداثة في التراث العربيلا يمكن فهمها إلا إذا كان هناك تصورصحيح للتراث كما أن فهم الماضي يعين على فهم المستقبل.

-. قائمة الإحالات:

1-منيرالحافظ،التراث في العقل الحداثي بحوث في فلسفة القيم الجمالية،دمشق، دار الفرقد، 2001،ص:12.

2-ينظر:رشيدبن يمينة،نماذج من القراءة الحداثية للموروث النقدي بين هاجس التأصيل ورهان التحديث، مجلة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية ، كلية الآداب واللغات ، جامعة ابن خلدون تيارت /الجزائر ، مج15، العدد 2018،2،ص:424.

3-عبد المطلب محمد،قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني،القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1995، ص:2.

4-مرتاض عبد المالك،نظرية النص الأدبي،الجزائر، دار هومة،2007،ص:188.
5-ينظر:سعيديقطين،الفكر الأدبي العربي البنيات والأنساق، الجزائر، منشورات الاختلاف،2014 ص:288.
6-ينظر:صلاح فضل،في النقد الأدبي،دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2007،ص:106.
7-ينظر:أسيا دربالي،ملامح الحداثة في عيار الشعر لإبن طباطبا(ماجيستير)،كليةالأداب واللغات، جامعة باتنة،2012/2013،ص:21.
8-ينظر:ابن سلام لجمحي،طبقات فحول الشعراء، القاهرة ، مطبعة المدني،1974ص:24،23.
9-ينظر: عبد المالك مرتاض،في نظرية النقد متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، بوزريعة الجزائر، 2002،ص:20.
10- عاصم محمد أمين حسن بن عامر، ملامح حداثية في التراث النقدي(دكتوراه)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، كانون الثاني،2004ص:112.
11-المرجع نفسه،ص:114.
12-عبد المالك مرتاض ،في نظرية النقد متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها،ص:19.
13-عبد الرحيم البار،عبد القاهر الجرجاني حياته ومؤلفاته ومنهجه اللغوي،مجلة إشكالات في اللغة والأدب،جامعة محمد خيضربسكرة/الجزائر،مجلد 6، العدد 3، 2017،ص:242،243.
14-عبده الحلو،معجم المصطلحات الفلسفية، بيروت، مكتبة لبنان، 1994،ص:164.
15-ينظر:عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،بيروت،دار الكتب العلمية، 2001،ص:14.
16-عبد القاهرالجرجاني،دلائل الإعجاز،بيروت، دار الكتاب العربي،1997، ص:53.
17-ينظر:المصدر نفسه،ص:52.
18-ينظر:جون ستروك ،البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس الى دريدا،الكويت،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الاعلى للثقافة والفنون والآداب، 1996،ص:7.
19-ينظر:محمد عباس ،الأبعاد الابداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني دراسة مقارنة، دمشق، دار الفكر، 1999،ص:16.
20-زكرياء إبراهيم،مشكلات فلسفية مشكلة البنية(أو أضواء على البنيوية)،القاهرة،مكتبة، مصر، 1990،ص:49.
21-ينظر:مزايتي مريم،تجليات المنهج البنيوي في تفكير عبد القاهر الجرجاني،جامعةأبي بكر بلقايد، تلمسان/الجزائر، ص:163.
22-عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الاعجاز في علم المعاني،ص:486.
23-المصدرنفسه،ص:488.
24-ابن منظور،لسان العرب،578/13، مادة نظم.
25-عبد القاهرالجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني،ص:80.
26-ينظر: المصدر نفسه، ص:37.
27-ينظر:عبد العليم محمد اسماعيل علي،عبد القاهر الجرجاني وإرهاصات المنهج البنيوي،مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والانسانية، كلية الآداب والدراسات الانسانية جامعة كردفان، السودان، المجلد 10، العدد2013،2،ص:6.
28-أبو علي المرزوقي،ديوان الحماسة،بيروت، لبنان،دار الكتب العلمية،2003،ص:853.
29-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، ص:81.
30-فرديناند دي سوسير،علم اللغة العام،بغداد،دار افاق عربية،1985،ص:132.
31-فريناند سوسير،محاضرات في الألسنية العامة، الجزائر، مؤسسة الجزائر للطباعة، ص:98.
32-ينظر:عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز علم المعاني، ص:417.
33-سورة مريم،الاية:4.
34-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز، ص:382
35-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، ص:138.
36- ينظر:مريم مزايتي، تجليات المنهج البنيوي في تفكير عبد القاهر الجرجاني،ص:166
37-ينظر:جون بياجيه البنيوية،بيروت ، لبنان،1985،ص:102.
38-ينظر: مريم مزايتي، تجليات المنهج البنيوي في تفكير عبد القاهر الجرجاني، ص:166.
39-ينظر:عبد العليم محمد إسماعيل علي،تجليات المنهج البنيوي في تفكير عبد القاهر الجرجاني،ص:10،9.
40-المرجع نفسه، ص:9.10
41-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، ص:54.
42-ينظر:عبد العليم محمد إسماعيل علي، تجليات المنهج البنيوي في تفكير عبد القاهر الجرجاني،ص:10.
43-ينظر :نعوم شومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة،المغرب، دار توبقال ، الدار البيضاء، 1990،ص:118.
44-داهية غول ،خمناس شهيناز،الدرس اللساني البلاغي من منظور الدرس اللساني المعاصر(ليسانس)،كلية الآداب واللغات، جامعة محند ألحاج ، البويرة، 2020/2019،ص:27.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن سلام لجمحي،طبقات فحول الشعراء، تح: محمود شاكر، القاهرة ، مطبعة المدني،1974.

2- ابن منظور،لسان العرب،578/13، مادة نظم.
3- ابو علي المرزوقي،ديوان الحماسة،بيروت، لبنان،دار الكتب العلمية،2003.
4- أسيا دربالي،ملامح الحداثة في عيار الشعر لإبن طباطبا(ماجيستير)،كليةالأداب واللغات، جامعة باتنة،2012/2013.
5- جون بياجيه البنيوية،بيرت - لبنان،1985.
6- جون ستروك ،البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس الى دريدا،الكويت،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الاعلى للثقافة والفنون والآداب، 1996.
7- داهية غول ،خمناس شهيناز،الدرس اللساني البلاغي من منظور الدرس اللساني المعاصر(ليسانس)،كلية الآداب واللغات، جامعة محند ألحاج ، البويرة، 2020/2019.
8- رشيدبن يمينة،نماذج من القراءة الحداثية للموروث النقدي بين هاجس التأصيل ورهان التحديث، مجلة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية ، كلية الآداب واللغات جامعة ابن خلدون تيارت /الجزائر، مج15، العدد 2018،2.
9- زكرياء إبراهيم،مشكلات فلسفية مشكلة البنية(أو أضواء على البنيوية)،القاهرة،مكتبة، مصر، 1990.
10- سعيديقطين،الفكر الادبي العربي البنيات والأنساق، الجزائر، منشورات الاختلاف،2014.
11- صلاح فضل،في النقد الأدبي،دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2007،.
12- عاصم محمد امين حسن بن عامر، ملامح حداثية في التراث النقدي(دكتوراه)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، كانون الثاني،2004.
13- عبد الرحيم البار،عبد القاهر الجرجاني حياته ومؤلفاته ومنهجه اللغوي،مجلة إشكالات في اللغة والأدب،جامعة محمد خيضربسكرة/الجزائر،مجلد 6، العدد 3، 2017.
14- عبد العليم محمد اسماعيل علي،عبد القاهر الجرجاني وإرهاصات المنهج البنيوي،مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والانسانية، كلية الآداب والدراسات الانسانية جامعة كردفان، السودان، المجلد 10، العدد2013،2.
15- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،بيروت،دار الكتب العلمية، 2001.
16- عبد القاهرالجرجاني،دلائل الإعجاز،بيروت، دار الكتاب العربي،1997.
17- عبد المالك مرتاض،في نظرية النقد متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، بوزريعة الجزائر، 2002.
18- عبد المطلب محمد،قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني،القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1995.
19- عبده الحلو،معجم المصطلحات الفلسفية، بيروت، مكتبة لبنان، 1994.
20- فرديناند دي سوسير،علم اللغة العام،بغداد،دارآفاق عربية،1985.
21- فريناند سوسير،محاضرات في الألسنية العامة، الجزائر، مؤسسة الجزائر للطباعة.
22- محمد عباس ،الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني دراسة مقارنة، دمشق، دار الفكر، 1999.
23- مرتاض عبد المالك،نظرية النص الأدبي،الجزائر، دار هومة،2007.
24- مزايتي مريم،تجليات المنهج البنيوي في تفكير عبد القاهر الجرجاني،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان/الجزائر.
25- منيرالحافظ،التراث في العقل الحداثي بحوث في فلسفة القيم الجمالية،دمشق، دار الفرقد، 2001 .
26- نعوم شومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة،المغرب، دار توبقال ، الدار البيضاء، 1990.